



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرضائي

تفريغ دروس الأصول الثلاثة

شرح الشيخ علي بداني

(أبي عبد الله)

الدرس رقم (10)

التاريخ : الخميس 18 - 5 - 1440 هـ

تفريغ الدرر العاطر من دروس شرح الأصول الثلاثة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الخلق أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، وعلى من تبعهم واقتفى سُنَنهم وآثارهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فمجلسنا في هذه الليلة - إن شاء الله - هو المجلس العاشر من مجالس الأصول الثلاثة؛ لشيخ الإسلام العالم الرباني والمجدد لما اندرس من معالم الدين الإسلامي: أبي عبد الله محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى؛ وجعل قبره روضةً من رياض الجنة وجعلنا الله وإياه في الفردوس الأعلى. قال - رحمه الله -:

[الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم].

(الأصل الثالث)؛ أي: من الأصول الثلاثة التي يجب على العبد معرفتها والعمل بها والدعوة إليها والصبر على الأذى في سبيل ذلك، وهذه الأصول هي معرفة العبد ربّه، ومعرفة دينه، ومعرفة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

أما الأصل الأول والثاني فقد مرّا معنا بحمد الله، والآن معنا آخر الأصول وهو معرفة النبي صلى الله عليه وسلم.

لما كان النبي صلى الله عليه وسلم واسطةً بين الله عز وجل وبين عباده في تبليغ دينه وشرعه الإسلام؛ ولا سبيل للإنسان أن يعرف الأصل الأول الذي هو معرفة الله؛ ولا سبيل له كذلك لمعرفة الأصل الثاني الذي هو معرفة دين الإسلام إلا بالواسطة بيننا وبين الله سبحانه وتعالى؛ فإنه لا يمكن معرفة المُرسل إلا بمعرفة المُرسل؛ من أجل ذلك صار لزامًا على العبد معرفة جملة من العلم الذي ينبغي أن يُحصّله المسلم تجاه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم؛ وإلا كيف تتبّع شخصًا وتقلّده وأنت لا تعلم عنه شيئًا! ومن جملة هذا العلم الذي ينبغي معرفته تجاه النبي محمد صلى الله عليه وسلم معرفة اسمه ونسبه، ومعرفة سنّه ومكان ولادته ومهاجره صلى الله

عليه وسلم، ومعرفة حياته النبوية وسير دعوته صلى الله عليه وسلم، وما هو دليل نبوته، وما هو دليل رسالته صلى الله عليه وسلم، وبماذا أُرسِل ولماذا أُرسِل؟ وهذه أعظمها.

فحقيقة هذا الأصل العلم ببعض سيرة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فكيف بمن يشهد أن مُحَمَّدًا رسول الله إذا قيلَ له من محمد هذا؟ لم يعرفه، فإنَّ شهادته هذه فيها خلل، فإنَّ من عرف هذا الأصل بالقدر الواجب منه حريٌّ أن يُوفقه الله سبحانه وتعالى للإجابة على سؤال القبر الثالث، ألا وهو من نبيك؟

قال المُصنّف -رحمه الله -:

[وهو مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المُطلّب بن هاشم، وهاشمٌ من قريش وقُريشٌ من العرب، والعرب من ذُرّيّة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام].

بدأ المؤلف رحمه الله بالأمر الأول وهو معرفة اسمه ونسبه صلى الله عليه وسلم.

اسمه: مُحَمَّد وهو أفضل أسمائه صلى الله عليه وسلم، وبه سمّاه أهله، وجاء ذكره بهذا الاسم في القرآن، وذلك في أربعة مواضع.

قال الله تعالى في سورة آل عمران: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ }.

وقال تعالى في سورة الأحزاب: { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا }.

وقال تعالى في سورة مُحَمَّد: { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ }.

وقال سبحانه وتعالى في سورة الفتح: { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا } الآية .

لَكِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُنَادِيهِ كَثِيرًا فِي الْقُرْآنِ بِالرَّسَالَةِ وَالنُّبُوءَةِ، لِتَشْرِيفِهِ بِهِمَا فَيَقُولُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ) وَيَقُولُ: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ).

وَمُحَمَّدٌ معناه: الذي يُحَمَّدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُحْمَدُ غَيْرُهُ؛ أَوْ هُوَ: الذي كَثُرَتْ خِصَالُهُ الَّتِي يُحْمَدُ عَلَيْهَا.

وَهُوَ عَلَمٌ مُشْتَقٌّ مِنَ التَّحْمِيدِ وَلِمَا فِيهِ مِنَ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ، وَلَهُ أَسْمَاءٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ مِنْهَا الَّتِي وَرَدَتْ فِي حَدِيثٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحِي اللَّهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ)، فَذَكَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ خَمْسَةَ أَسْمَاءَ، تَقَدَّمَ الْأَسْمَاءُ الْأُولَى مِنْهَا وَهُوَ مُحَمَّدٌ.

أَمَّا أَحْمَدُ فَمَعْنَاهُ كَثِيرُ الْمَحَامِدِ، وَقَدْ ذُكِرَ هَذَا الْأَسْمَاءُ فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي بَشَارَةِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ}.

وَأَمَّا (الْمَاحِي): فَهُوَ الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الشَّرَّكَ.

وَأَمَّا (الْحَاشِرُ): فَهُوَ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى إِثْرِهِ، فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَبَعْدَهُ يَكُونُ الْحَشَرُ وَالسَّاعَةُ.

وَأَمَّا (الْعَاقِبُ): فَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ فَلَا يُعْقِبُهُ نَبِيٌّ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ كَذَلِكَ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الْمِلْحَمَةِ، أَيُّ: الْجِهَادِ.

لُقِّبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَمِينِ؛ أَمَّا (كُنْيَتُهُ): فَهُوَ: أَبُو الْقَاسِمِ.

فَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ فِهْرٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خَزِيمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسٍ بْنِ مُضَرَ بْنِ نَزَارٍ بْنِ مَعَدٍّ بْنِ عَدْنَانَ.

إِلَى هُنَا هَذَا النَّسَبُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَلَا خِلَافَ فِيهِ الْبَتَّةَ؛ وَمَا فَوْقَ عَدْنَانَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ؛ لَكِنْ لَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ أَنَّ عَدْنَانَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا وَعَلَى نَبِينَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

وَإِسْمَاعِيلُ هُوَ الذَّبِيحُ عَلَى الْقَوْلِ الصَّوَابِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ؛ وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ}.

فأبوه: عبد الله، وجدّه الأول: عبد المطلب، وجدّه الثاني: هاشم، وجدّه الثالث: عبد مناف.

فإنَّ عبدَ مناف وهو الجد الثالث للنبي صلى الله عليه وسلم كان له أربعة أولاد وهم:-

- هاشم: وهو الجد الثاني للرّسول صلى الله عليه وسلم، ومنه: الهاشميون.
- المُطَلَّب: ومنه: المُطَلِّبون.
- عبد شمس: ومنه: عثمان بن عفان رضي الله عنه وبنو أمية.
- نَوفل: ومنهم جُبَيْر بن مُطعم، وحكيم بن حزام رضي الله عنهم.

وعبدُ المُطَلَّب بن هاشم الذي قلنا بأنّه جدّه الأول هذا ليس اسمًا له؛ فإنَّ اسمه شَيْبة، ويقال له: شَيْبة الحمد، وذلك لجُوده، وإنّما سُمِّيَ بعبد المطلب لأنَّ عمّه المُطَلَّب بن عبد مناف جاء به من المدينة وهو صغير من عند أخواله بني النجار؛ فلمّا رآه الناس أسودًا من السفر ظنّوا أنّه عبدٌ مملوك للمُطَلَّب؛ فقالوا عبدَ المطلب، فبقي هذا اسمًا له.

هؤلاء من قُريش، وقريش هم أشرف قبائل العرب.

والعربُ أقسام: بائدة وعاربة ومُستعربة:

- العرب البائدة: وهؤلاء الذين أهلكهم الله، وهم قوم نوحٍ وعادٍ وثمودَ وشُعيب.
- العربُ العاربة: وهم القحطانية، من حمير من اليمن، وهم أصل العرب.
- العرب المُستعربة: وهم العدنانية، من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام؛ سُمُّوا مُستعربة لأنّهم تعلّموا العربية من العرب العاربة، فإنّه لما جاءت جُرهم ونزلوا مكّة وجدوا ماء زمزم فطلبوا من هاجر أن تسمع لهم بأن يَسْتَقُوا الماء فأذنت لهم؛ وإسماعيل وقتها كان رضيعًا؛ فتربّى ونشأ وأخذ العربية من جُرهم الذين هم العرب العاربة، وتزوَّج منهم، وجاءه ذُرِيَّةٌ تعلّموا العربية ونشأوا مع العرب فصاروا عربًا مُستعربة؛ الذين يقال لهم العدنانية، فصارَ لسائهم عربيًا واضحًا، حتى قيل أكثر من العرب العاربة.

وإبراهيمُ عليه السلام هو خليلُ الرحمن، قال الله تعالى: **{وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا}**، وكذلك نبيُّنا محمّد صلى الله عليه وسلم هو خليلُ الرّحمن، والخُلّة هي: أعلى درجات المحبّة، وهي مرتبة وصفة

لا تثبت إلّا لنبيّين كريمين هما أفضل الأنبياء والمرسلين، وهما نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم، ونبيّ الله إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

وإبراهيم عليه السلام له إسماعيل وهو جدّ العرب العدنانيّة، وله إسحق وهو جدّ بني اسرائيل، وجميع الأنبياء من ذرية إسحاق بن إبراهيم إلّا محمد صلى الله عليه وسلم فهو من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

فهو كما كما ترى خلاصة الخلاصة، فهو أشرف وأفضل وأظهر نسب على الإطلاق، وإنّما كان أشرفها لأنّه يشترك مع كلّ قبائل العرب في النسب، وأفضلها لأنّ نسبه صلى الله عليه وسلم حوى خير البشر، وأظهرها لأنّ نسبه صلى الله عليه وسلم من نكاح لا من سفاح.

وفي الحديث الذي واثله بن الأسقع عند مسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشِ بْنِ هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**).

فهو صلى الله عليه وسلم خيارٌ من خيارٍ من خيار، وهو صلى الله عليه وسلم اختاره الله سبحانه وتعالى من أفضل ولد إسماعيل وهم كِنَانَةَ، ومن أفضل كِنَانَةَ وهم قُرَيْش، ومن أفضل قُرَيْش وهم بنو هاشم، وهو صلى الله عليه وسلم أفضل بني هاشم.

وفي الصّحاحين من حديث أبي سفيان رضي الله عنه وقصّته مع هرقل وسؤال هرقل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان فيما سأله أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قال أبو سفيان: هو فينا ذو نسب، إلى أن قال هرقل لأبي سفيان، سألتك عن نسبه فذكرت أنّه فيكم ذو نسب، فذلك الرسل تُبعث في نسب قومها، أي: في أكرمها أحسابًا.

ومن حكّم هذا التّسبب أنّ التّفأخر بالأحساب والأنساب كان على أشدّه قبيل مبعث النّبي صلى الله عليه وسلم، فلو بُعث في نسبٍ وضيع لكان هذا سبباً في ردّ دعوته من كثير من القبائل؛ والله سبحانه وتعالى اختار النبي صلى الله عليه وسلم في هذا النسب ليُعين النّاس على قبول دعوته صلّى الله عليه وسلم، فلا يُمكن من كان هذا نسبه وهذا جاهه ومكانته أن يدّعي النّبوة ليبحث عن جاهٍ ومكانةٍ وشرف، فهو صلّى الله عليه وسلم ذو شرف وذو نسب وذو مكانة وجاه صلى الله عليه وسلم، فنسبه كفيلاً برفعته صلى الله عليه وسلم.

ومن الحِكم التي ذكروها أيضا أَنَّ الله سبحانه وتعالى أراد أن يرفع ذكر العرب؛ قال الله تعالى: { وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ }، فَإِنَّ النُّبُوَّةَ انقطعت عن العرب مُدَّة طويَلة؛ ارتفع فيها بنو إسرائيل زمناً طويلاً حتى تكبروا وقالوا لن تخرج النُّبُوَّةُ عن بني إسرائيل، فأرغم الله أنوفهم وجعلها في العرب.

وهو صلى الله عليه وسلم دعوة إبراهيم، قال الله تعالى: { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }، وبشارة عيسى به قومه، قال الله تعالى: { وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ }.

ثم قال الشيخ - رحمه الله -:

[وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا].

وُلِدَ صلى الله عليه وسلم في يوم الإثنين في ربيعِ الأول، ولم يثبُت شيء في تاريخ ولادته؛ ولم يثبُت أَنَّهُ يوم الثاني عشر من ربيع الأول، ووُلِدَ صلى الله عليه وسلم عام الفيل وذلك قبل الهجرة بثلاث وخمسين سنة، وهو العامُ الذي جاء فيه أبرهة ملك اليمن ومن معه لهدم الكعبة، وقِصَّةُ أصحاب الفيل مشهورةٌ معروفة.

وُلِدَ عليه الصلاة والسلام على مقرِّبةٍ من الكعبة، ولا يوجدُ تحديداً ثابتاً يدلُّ على مكان ولادته بالضبط.

أبوه: عبد الله، مات وهو حملٌ في بطن أمه: أمانة بنت وهب القُرَشِيَّة، ونشأ صلى الله عليه وسلم يتيماً، وأرضعته ثُوَيْبَةُ مَوْلَاةُ أَبِي لَهَب، وأرضعته كذلك حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّة، ثم توفَّيت أمُّه وهو ابن ست سنين، فكفَّله جدُّه عبد المطلب، ولم يلبث أن تُوفِّي، فانتقلت كفالته إلى عمِّه أبي طالب، فلم يزل يحوِّطه وينصره ويرفَعُ من قدره ويُوَقِّرُه، ويَكْفُفُّ عنه أذى قومه، تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة قبل البعثة بسنين، ومنها أولاده إلّا إبراهيم فإنَّه من مَارية.

عاش أربعين سنةً قبل النبوة معروفاً بالأمانة والصدق والكرم، وتجنَّب أعمال أهل الجاهليَّة من شُرْب الخُمور وعبادة الأوثان، وحَبَّبَ إليه الخلاء، فكان يخرج إلى غار حراء ويتعبَّد الله فيه الأيام

ذات العدد على ملة إبراهيم على التوحيد، فكان يعبد إلها لا يعرف من هو، ولا يعرف كيف يعبده؛ لذلك قال الله تعالى: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ}، وليس معنى: (ضَالًّا) هنا، أنك تعمل أعمال أهل الضلال؛ وإنما حائراً في كيفية عبادة الله، قال الله تعالى: {مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ}.

ولما كان في سنِّ الأربعين أُوحِيَ إليه، فصار نبياً رسولاً؛ فإنَّ هذا السن هو الذي تكتمل فيه قوة الرجل، وهو سن اكتمال الأشد، قال الله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً}.

ولما قام يدعو إلى ما أمره الله به ازداد أذى قريش له، وهو صابرٌ محتسب، وعمه أبو طالب يحميه ويدافع عنه؛ هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان؛ وكلُّ ذلك بقدرِ الله وحسن تدبيره، إلى أن توفِّيَ أبو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين، وماتت بعده بيسير خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فسُعي عام الحزن.

وبعد ذلك أقدم عليه سفهاء قريش وجُهَّالهم، فاختر الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم والأكمل؛ فلما وصل إليهم آوَّه ونَصروه وحَاطُّوه وقاتلوا بين يديه رضي الله عنهم أجمعين، وكلُّ هذا من حفظِ الله له وكلائته له وعنايته به.

عاش صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وعشرون سنة نبياً ورسولاً، منها ثلاثة عشرة سنة في مكة، وعشر سنين في المدينة بعد هجرته إليها صلى الله عليه وسلم، ومات صلى الله عليه وسلم وله من العمر ثلاث وستون سنة صلى الله عليه وسلم.

ثم قال رحمه الله:

[نُبِّئَ بِإِقْرَأَ وَأُرْسِلَ بِالْمَدَنَةِ].

أخرج الإمام البخاري رحمه الله عن عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: (أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ؛ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، أَي: - العزلة لما كان يرى عليه قومه من عبادة الأوثان وسجودهم للأصنام - ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنَّث فيه، والتَّحَنُّثُ: هو التعبد الليالي

ذوات العدد قبل أن يَنْزِعَ إلى أهله، أي: - قبل أن يرجع إلى أهله ، ويتزوّد لذلك من أخذ ما يكفيه من مأكّل ومشرب - ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها حتى جاءه الحق، أي: - الوحي -، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال فأخذني فغطّني، أي: - ضَمَّنِي - ، حتى بلغ مَنِّي الجَهد، ثم أرسلني، أي: - أطلقني -، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مَنِّي الجَهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثالثة ثم أرسلني، فقال: اقرأ باسمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ؛ فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجِفُ فؤادُه، - بهذا صار صلى الله عليه وسلم نبياً - ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، - هذه المرأة الصّالحة أمُّ المؤمنين التي اصْطَفَاهَا اللَّهُ عز وجل لِنُصْرَةِ نبيه صلى الله عليه وسلم في بداية دعوته ، فقد آزرتَه وناصرته، وثبّتَ الله نبيّه صلى الله عليه وسلم بهذه المرأة العاقلة رضي الله عنها وأرضاها - ، فقال: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، أي: - غطوني - ، فزَمَّلُوهُ حتى ذهب عنه الرَّوْع - لَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى مَا لَمْ يَرَهُ مِنْ قَبْلُ؛ فَأَصَابَهُ فَزَعٌ وَخَوْفٌ شَدِيدٌ، - فقال لخديجة وأخبرها الخبر، فقال: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ - هذه المرأة الحكيمة العاقلة رضي الله عنها - : "كَلَّا وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلَ الرَّحْمَ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتُقْرِئُ الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ"، فانطلقت به خديجة حتى أَتَتْ به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى ابن عمّ خديجة؛ وكان امرأً تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله له أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمِيَ .

- وانظر إلى خديجة وحكمتها وعقلها، أخذت النبي صلى الله عليه وسلم إلى عالمٍ بهذه الأمور، لم تأخذه إلى كاهنٍ أو ساحر؛ وإنّما ذهبت به إلى عالم وهو ورقة، وورقة هذا هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن قُصَي، وهو ابن عمّ خديجة رضي الله عنها.

وقد اختلف أهل العلم في إثبات إسلامه وصُحْبته، عدّه في الصحابة غير واحد من أهل العلم، ورَجَّحَ إسلامه بهذا الحديث من المُعاصرين: ابن بازٍ وشيخُ شيخنا الوادعي، وكذلك رجَّحه ابن عثيمين والفوزان وذكرنا أنّه صحابي، والله أعلم - .

فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبْرَ مَا رَأَى؛ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ - أَي: الْمَلِكُ - الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا ، - أَي: شَأْبًا قَوِيًّا . فَأَنْصُرُكَ - ، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذَا يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْمُخِرَجِي هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوْفِيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيَ؛ - فَكَانَتْ وَفَاةُ وَرَقَةَ قَبْلَ نَزُولِ الْوَحْيِ مَرَّةً أُخْرَى - .

وَقَالَ ابْنُ شَهَابٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ جَابِرًا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُحَدِّثُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ، وَفِي رِوَايَةٍ: ثُمَّ فِتْرَ الْوَحْيِ فِتْرَةٌ - أَي: انْقَطَعَ فِتْرَةٌ -: (فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِجَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَجِئْتُ مِنْهُ فَرَقًّا - أَي: خَائِفًا - فَارْجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَرُونِي؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبُّكَ فَكَثِيرٌ وَثِيَابُكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ } ثُمَّ تَابَعَ الْوَحْيَ) وَهَذَا الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَهَذَا أَرْسَلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَطْلَعِ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ .

وَعَلَى قَوْلِ الْمُؤَلِّفِ وَهُوَ قَوْلٌ مَشْهُورٌ عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ النَّبِيَّ: هُوَ مَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِتَبْلِيغِهِ، فَإِنَّ أَمْرَ تَبْلِيغِهِ فَرَسُولٌ ، لَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ الرُّسُولِ وَالنَّبِيِّ فِي التَّبْلِيغِ فَقَالَ تَعَالَى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ } فَكُلُّ مَنْ الرُّسُولِ وَالنَّبِيِّ مُرْسَلَانِ وَمُكَلَّفَانِ بِالتَّبْلِيغِ، وَكَذَلِكَ الْآيَاتُ الْوَارِدَةُ فِي شَأْنِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْعِلْمَ تَتَضَمَّنُ وَعِيدًا عَظِيمًا، فَكَيْفَ بِالنَّبِيِّ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَوَّلَى بِالتَّبْلِيغِ مِنَ الْعَالَمِ.

وَقَدْ سَبَقَ لَنَا وَقَرَّرْنَا أَنَّ الصَّحِيحَ وَالرَّاجِحَ أَنَّ الرُّسُولَ: هُوَ مَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ مُسْتَقِلٍّ، وَأَمَّا النَّبِيُّ: فَهُوَ مَنْ أُرْسِلَ تَحْتَ شَرِيعَةِ رَسُولٍ قَبْلَهُ، فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٍّ لَا الْعَكْسَ.

ثم قال المصنف - رحمه الله -:

[وبلده مَكَّة، وهاجر إلى المدينة].

(بلده مَكَّة) : وبها وُلد صَلَّى الله عليه وسلم، وعاش فيها أربعين سنة قبل النبوة وثلاثة عشرة سنة نبياً رسولاً.

ومَكَّة أحبُّ البقاع إلى الله، وزادها الله تشريقاً بمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، ومن أسمائها بَكَّة وأُمُّ القُرى والبلد الأمين.

وهذا يدلُّك على أَنَّ الله سبحانه وتعالى اختار لنبيِّه كُلَّ شيء، فهو أفضل البشر من أفضل النَّسب، من أحبِّ البقاع إلى الله (مَكَّة)، وأنزل عليه أفضل الكتب الذي هو القرآن، وأنزله في أعظم ليلة التي هي ليلة القدر.

ثم هاجر صَلَّى الله عليه وسلم إلى المدينة، وله من العُمُر ثلاثاً وخمسين سنة، ومكث فيها عشر سنين حتى تَوَفَّاهُ الله سبحانه وتعالى، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة، فدامت مدَّة رسالته صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وعشرين سنة.

ثم قال المُصنِّف - رحمه الله -:

[بعثه الله بالندارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد].

الإنذار : في اللِّغة : إعلامٌ مع التَّخويف.

قدَّم المؤلف - رحمه الله - الندارة عن الشرك على الدعوة إلى التوحيد لأنَّ هذا مدلول لا إله إلاَّ الله؛ النفي ثم الإثبات.

فالتَّوحيد لا يصحُّ ولا يُقبَل مع وجود المنافي الذي هو الشرك، وهو دعاء غير الله مع الله.

وهذا الواجب على الدُّعاة أتباع النبي صلى الله عليه وسلم؛ عليهم أن يُركِّزوا على دعوة النَّاس إلى التَّوحيد، ويحذِّروهم من الشرك.

وقد بقي النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك طيلة مُكثِّه في مَكَّة، ثلاث عشرة سنة منها ثلاث مضت في الدعوة السريَّة، وعشر سنين جَهَرَ بدعوته إلى التوحيد ونبذ الشرك، ولقي ما لقي،

وأُودي في سبيل الله صلوات ربي وسلامه عليه، فقد كان يقول لقومه: (يَا قَوْمِ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا).

ثم قال -رحمه الله -:

[والدليل قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ }].

قال ابن كثير - رحمه الله -: أي شَمَّر على ساعدِ العزمِ وأنذر الناس.

(يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) : النِّداء للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الْمُدَّثِّرُ: أصلها الْمُتَدَثِّرُ وأدغمت التاء في الدال، ومعنى الْمُدَّثِّرُ: الْمُتَحَفِّ بِثِيَابِهِ الْمُتَغَشِّي بِهَا مِنْ شِدَّةِ الرُّعْبِ الَّذِي حَصَلَ لَهُ مِنْ رُؤْيَا الْمَلِكِ عِنْدَ نَزُولِ الْوَحْيِ ، لِأَنَّهُ لَمَّا أَصَابَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَزَعُ وَالْخَوْفُ قَالَ: (دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي) ، أَي: غَطُّونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَاتِ: { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ }.

ثم قال -رحمه الله -:

[ومعنى قُمْ فَأَنْذِرْ: يُنذِرُ عَنِ الشَّرِكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ].

(قُمْ) : أَمْرٌ بِالْقِيَامِ، قُمْ مِنْ دِثَارِكَ فَأَنْذِرْهُمْ وَحَذِّرْهُمْ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ، بِعَزْمٍ وَتَصَمِيمٍ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا.

فحصل بهذا الإرسال كما سبق.

(فَأَنْذِرْ) : أَي أَعْلِمُ قَوْمَكَ بِحَقِيقَةِ الشَّرِكِ وَخَطُورَتِهِ وَحَذِّرْهُمْ مِنْهُ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَأْمُرُ نَبِيَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُومَ بِجِدٍّ وَنَشَاطٍ وَيُنْذِرَ النَّاسَ عَنِ الشَّرِكِ وَيُحَذِّرْهُمْ مِنْهُ.

ثم قال - رحمه الله -:

[وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ أَي: عَظِّمُهُ بِالتَّوْحِيدِ].

وذلك باعتقاد تفرُّده بالرُّبُوبية والألوهية والأسماء والصفات، وَخَصَّ المصنِّف -رحمه الله - تعظيم الله بالتَّوْحِيد لَأَنَّهُ أعظم ما أمر الله به، والأمر للنبي صلى الله عليه وسلم أمرٌ لأُمَّتِهِ، فهي تَبَعٌ له في ذلك، فكلَّ مكلفٍ من عالم الجن والإنس مخلوق لتوحيد الله سبحانه وتعالى الذي يتجلَّى في أنواع التوحيد الثلاثة.

ثم قال - رحمه الله :-

[وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ أَي: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشَّرْكِ].

(وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ) : فَسَّرَ السَّلَفُ الثِّيَابَ هُنَا بِتَفْسِيرَيْنِ:

الثِّيَابُ المَعْنَوِيَّةُ: أي: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشَّرْكِ والبدع والمعاصي؛ فَإِنَّهَا قَذَارَةٌ ووساخةٌ للقلوبِ والأرواح، وهذا الذي ذهبَ إليه الجُمهور، والمؤلَّف - رحمه الله - مع الجمهور في هذا القول، وَخَصَّ المؤلَّف تطهير الأعمال من الشرك لَأَنَّهُ أعظم ما نهى الله عنه.

الثِّيَابُ الحَسَنِيَّةُ: أمر الله نبيه أن يطهر ثيابه من النَّجاسة.

ثم قال:

[وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ].

(الرُّجْزُ) : الأصنام، وهجرها تركها وأهلها، والبراءة منها وأهلها.

(الرُّجْزُ) : كما قال المصنف: الأصنام، وهجرها تركها والابتعاد عنها، وأن يصاحب تركها والابتعاد عنها ترك أهلها والابتعاد عنهم؛ والتبرُّء منها وأهلها، والبراءة هي التُّركُ وزيادة.

(الرُّجْزُ) : هي: الأصنام، يُطلق أحياناً الصنم على الوثن، والوثن على الصنم؛ لكن الوثن أعمُّ من الصنم.

• **الوثنُ:** هو ما عُبدَ من دون الله ولو لم يكن على صورة.

• **أما الصنم:** فهو ما عُبدَ من دون الله على صورة، كصورة إنسان أو حيوان أو غير ذلك.

ولا يلزم من أمر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بترك الأصنام أنه كان يعبدها؛ لكنّ النّهي هنا للتحذير والتنفير، ومثال ذلك قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ}**، فأمر الله هنا نبيه صلى الله عليه وسلم بالازدياد من التقوى.

وأما قوله تعالى: **[وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ]** ذكر في تفسيرها عدّة معان، ومنها: الإشارة إلى الإكثار من الصدقة، وحثّ على الكرم والجود وعلى عدم المنّ.

وقوله تعالى: **[وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ]** أمر من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يحبس نفسه على طاعة الله وعن معاصيه، وأن يحبس نفسه على أقدار الله المؤلمة، ويكون ذلك بحبس اللسان عن التّشكي وقلبه عن التسخط.

ثم قال - رحمه الله -:

[أخُذْ عَلَى هَذَا عَشْرَ سَنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ].

لا يدعو إلّا إلى التوحيد، وينذر الناس عن الشرك؛ وهذا يدلّ على عِظم التوحيد لأنّه أصل الدين وأساسه وبه الفوز بالجنّة والنّجاة من النار، ولم يؤمر بشيء في هذه العشر لا صلاة، ولا زكاة، ولا صيام، ولا حجّ؛ فالتوحيد التّوحيد، وهذه دعوة الأنبياء جميعًا من أوّلهم إلى آخرهم .

قال الله تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}**، وقال تعالى: **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}** .

والله سبحانه وتعالى قد قصّ علينا قصص المرسلين لنعتبر بها ونعمل بها، فما من نبيّ ولا رسول إلّا وقال لقومه: **(اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)**، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يقول لقومه: **(يا قوم قولوا: لا إله إلّا الله تفلحوا)** وهذا رواه الإمام أحمد.

ولمّا بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا إلى اليمن ماذا قال له؟ قال: **(إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله)**، وفي رواية: **(أن يشهدوا أن لا إله إلّا الله)**.

فأساس دعوة النّبیین جميعًا ودعوة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمهم هي التوحيد؛ لذلك يجب التركيز على التوحيد والعناية به دائمًا وأبدًا، ودعوة الناس إليه وتعليم الناس إيّاه وأن يبيّن لهم معنى التوحيد ومعنى الشرك.

ثم قال - رحمه الله -:

[وبعد العشر عُرِجَ به الى السماء وفُرضت عليه الصلوات الخمس وصلى في مكة ثلاث سنين].

هذه إلى الدرس القادم إن شاء الله، نسأل الله أن يبلغنا ذلك ونحن في أمان وعافية.
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.